مُناقشات

حول الموضوع المعنون
((مقالة واحدة)) بين عبد الدائم والمناف
بقلم جميل كاظم المناف

لفت نظري وانا اطالع مجلة الآداب العدد الاول عام ١٩٦٨ مقالة نقدية حول البحث الذي نشرته لي الاداب في عدد (١١) تشرين الاول عام ١٩٦٧ .. تهجم فيها الناقد علي بالذات . واتهمني بالسطو والسرقة (والاستحواذ) وبانني لم أملك شيئا .. ولذلك لجات الى مقالة الدكتور عبد الله عبد الدائم المنشورة في مجلة ((المعرفة)) . وقد اورد الناقد عدة مقاطع من مقالة الدكتور عبد الدائم مقارنا اياها بالمقاطع المدونة في مقالتي .. واستخلص من الشبه والتشابه بين تلك المقاطع على انه ليس الا من قبيل الاستحواذ على مقالة اخرى من جانبي)) .

ورغم ان الناقد اجهد نفسه وحقق ونقب وبحث .. ثم قدر فدبر .. وتحركت كلماته تدون الاسطر الشامتة . والكلمات المبطنة بالسخرية)) الا انه فشل في اثبات أن القضية لا تعدو كونها ((سرقة)) لان المقاطع التي اوردها من كلتا المقالتين لم تكن متشابهة ..

ويبدو ان الناقد كان يطلب منا تسجيل ارقام على كل فقرة ثم تسجيل حاشية او هوامش لكي تكتمل اصول البحث العلمي .. وقد عتب الناقد علينا كثيرا حينما تساءل : اهذه هي اصول البحث العلمي ؟ .. اهذه هي الامانة العلمية . وكاستهلال للمسألة موضوعة المناقشة أود ان أسجل عدة ملاحظات حول ما اثير في مقالة الناقد :

الملاحظة الاولى : انني اجد الناقد نسي او تناسى ان الفكر الانساني يكمل بعضه بعضا ، واذا كانت هناك مقاطع متشابهة بين مقالتي ومقالة الدكتور عبد الدائم فليس هذا من قبيل السرقة او السطو فالذي يسطو على ما يملكه الاخرون هو الذي لا يملك شيئا ، وقد اقر الناقد بهذه المقولة في اخر مقالته .. ونحن ربما ملكنا شيئا من فكر او ادب او اسلوب ولا أريد ان أقول اين ومتى فهذا ما لا اجيزه لنفسي لان مدح الذات في مثل هذا الموقف ذم لها . ثم من قال للناقد ان الاقتباس من الاخرين سطو على نتاجهم ؟ وهل يا ترى كان ماركس يسطو على ريكارد وجميع الاقتصاديين البورجوازيين عندما اخذ منهم اعمدة نظريته الاقتصادية ؟. الم يكن ذلك اعترافا بأن الفكر الانساني نهر واحد فيه عدة تيارات الا ان هذه التيارات تؤثر وتتأثر ببعضها .. وقد تصطرع وتتناقض وتثور على بعضها بعضا لكن كل ذلك رهين بالظروف والتطور التاريخي الكمي والنوعي .. الم تكن مقولة فائض القيمة من نتاج الفكر البورجوازي نحى فيها ماركس منحى اخر غير الذي اراده الرأسماليون ومن هنا يختلف النهج الاقتصادي الماركسي عن النهج الرأسمالي بكافة مدارسه ؟ لماذا لا نقول عن ماركس انه سارق وانه غير مبدع وانه ((يسطو)) ويستحوذ)) وليس لديه شيئا ؟

الملاحظة الثانية : ان الناقد قد يريد منا أن نشير الى الدكتور عبد الدائم بهامش أو حاشية اعترافا بفضله ، لانه مرب كبير .. وأنا هنا أرثي للناقد الذي لم يعرف حتى الان ان السبل الجديدة في الاشارة الى المصدر الاستدلالي قد نفت وجود الهامش أو الحاشية ويستعاض عن ذلك بوضع أقواس مقفلة أو غير مقفلة . ولو دقق الناقد بالبحث الذي نشرته ((الآداب)) لي في عدد ١١ من عام ١٩٦٧ لوجد أكثر من قوس على هذا الشكل ـ ... ثم اني هنا لا أتنكر للدكتور عبد الدائم بل على العكس فانا أعتز به وأقدره وأجله الى أبعد الحدود ، وان كنت أختلف معه في الكثير من التفسيرات . الا ان هذا لا يمنعني من أن أكون على خلاف معه !

ويثور لدي سؤال أوجهه للناقد المحترم : هل صحيح انك أجهدت نفسك من أجل العلم والامانة العلمية .. أم ان هناك مواقف شخصية خلف مقالتك ؟.. ثم لم كل هذه المزايدات والمناقصات على مواضيع أصبحت بديهية للعاملين في مجالات الفكر والصحافة ؟.. أتريد أن تطبق مقاييس المصادر التاريخية أو الاستقرائية على البحث الاستدلالي ؟.. وماذا تقول بالكتاب الذين يتحدثون عن الاحداث السياسية والاجتماعية بمقياس الصراع الطبقي ؟.. هل تعترض عليهم وتقول ان هذا مسروق من كارل ماركس وان صاحب كتاب ((المجتمع القديم)) مورغان يجب أن يثأر لنفسه ؟.. وماذا تقول بالصحافة التي تكتب وتنشر تقارير عالمية اقتصادية وسياسية أغلب المعلومات والافكار الموجودة فيها مترجمة من عدة مجلات وجرائد ، ضغطت أو قلصت أو قطعت ثم أعيدت صياغتها مع الاحتفاظ ببعض الجمل والمقاطع من النصوص المترجمة كاملة ـ دون الاشارة الى المصدر ـ هل يعتبر هذا العمل سرقة أو سطوا واستحواذا وهو أمر متعارف عليه في كافة الاوساط الصحفية العالمية والعربية والمحلية ؟

ان أي بحث أو مقالة حتى وان كانت جمع من عدة مصادر فهي شيء مستقل بذاته لانها نفسها تصبح ((نتيجة)) لجهد منفرد .. جهد انساني خلاق .. لكنه جهد غير كائن بذاته ولا صائر لنفسه .. فالعزلة في عالمنا أو في القوانين المادية الجدلية غير موجودة أصلا . وليقل لي السيد الناقد كيف يضع المقالات التي يكتبها ـ اذا كانت لديه مقالات ـ وما هو الفرق بين البحث الانشائي والبحث الاستدلالي والبحث الاستقرائي .. اذ انني لا أزال باحثا عن ((الحقيقة)) وان تعالت وتعاظمت ـ على حد تعبيره ـ .. ولماذا لم يقل الناقد انه يقصد بكل ما ذكر وقال انه يقصد المقالة الانشائية التي تأتي بدون اقتباس أو مصادر لانها كلمات تهويمية ضبابية ربما تعبر عن حس جمالي أو صورة أو تأمل .. لكنها تظل غير ذات القيمة العلمية الرصينة .

الملاحظة الثالثة : آن النقد ـ ولنسميه مجازا نقدا ـ الذي وضعه الناقد حول بحثنا المنشور في العدد ١١ من عام ١٩٦٧ ـ الاداب ـ كانت فيه ـ رائحة ـ شخصانية كما ذكرت .. ويبدو لي ان (المدرسة ـ الميكانيكية) هي التي أوحته أو وضعته . والميكانيكيه هذه جماعة .. تقلد الخناقس في سلوكها وتدعي يسارية الخناقس وتلبس تقاليعها .. وتكتب شعرا أقرب الى طنطنة الذباب منه الى شيء آخر : مثل السمك للسمك .. وضفة النهر تبحث عن الطب .. والنار تحرق المرمل ((ولا أدري أي شيء هو هذا المرمل)) ..

على أية حال ، ان الميكانيكية ـ حسبما أظن ـ هي التي تقف وراء النقد اياه .. لانها ذات سوابق معي بالذات.. فقبل مدة يسيرة.. مسح أحدهم المصدر الذي دونته في نص مقالة نشرت في جريدة ((الثورة)) البغدادية التي أعمل فيها محررا للشؤون الفكرية والثقافية.. وعندما حققت في القضية اتضح لي أن مسودة المقالة مفقودة ـ من أضابير التصحيح ـ وعند بحثي عن التصحيحات المطبوعة وجدت النص كما هو والمصدر مدونا ((كما هو في الاصل)) أما في الجريدة فالنص غير مدون . وسبب ذلك ان أحد الميكانيكيين كان ـ يغار ـ لاني أراقب الجريدة وقد كلفت بدراسة الترجمات والمقالات والاشراف المباشر على كل ما يطبع فيها . وهناك سبب موضوعي آخر الى جانب السبب أو العامل النفسي الذي ذكرته سلفا الا وهو ان ذلك ـ الميكانيكي ـ يشعر انه صاحب مدرسة ترى الانسان من الداخل ، والكلمة برؤى ذاتية . وتجد العالم والاحداث غير مقننة . ولذلك فهي ترى ان الفوضى هي الشيء الاساسي والحقيقي . وأنا هنا لا أريد أن أناقش هذه المقولة وانما أطرح (الفعل السلوكي) لهذا (الخنفوس اليساري) الذي يرفض اليسارية الحقة . ويمعن في الطفولة كما يسميها ـ لينين ـ . فلقد جاء صاحبنا في (زفة) على انه صاحب المواهب التي لا تحصى ، والشاعر والناقد والسياسي البارع .

ورغم رباط الصداقة الذي يربطني مع ذلك الانسان فانا لم أعدم نقدا موجها اليه بفعل التناقض الفكري الذي بيني وبينه الا اني كنت انظر الى الانسان من الناحية الايجابية فيه وان كنت أعلم ان السلب في البشر أكثر من الايجاب بسبب كون الانسان يرى في ذاته محور مدار العالم . لكن هذه ليست قاعدة بدون استثناء .

بكل الاحوال كنت متفائلا ، لكن تفاؤلي زال عندما رأيت ذلك الخنفوس ينعت اسحق رابين رئيس الاركان الاسرائيلي السابق الذي نفذ عدوان حزيران بانه « منحدر من عائلة طيبة وهو انسان متواضع وبسيط . »

وفي تراجم أخرى من مجلة الحرب والسلام التي تصدر عن هيئة الامم المتحدة التي تسيطر على هيئة تحريرها المخابرات المركزية الاميركية .. دون ذلك (اليساري المفتعل والمزعوم) مقالة تصف كاسترو بانه يعيش الان في رعب دائم وينام في غرفة فولاذية مضادة للرصاص، خوفا من المخابرات الاميركية التي تحاول اغتياله .. وهو الان يرتجف من ذلك » .

ومرة ثالثة تدون مقالة مترجمة تصف وزير اسرائيلي وهو « آنون » بالسيد .. ومرة رابعة لا يكتب أي شيء عن الاتفاق النفطي العراقي السوفياتي ، وهو الاتفاق التحرري الذي يعتبر ضربة قوية لاحتكارات النفط الاميركية .. وتقوم ـ ضجة ـ على ذلك الخنفوس مدعي اليسارية الجديدة فيعتذر بالنسيان . وكان أبلغ رد عليه قول أحد العاملين في الجريدة : لو كانت شركة الاي. بي. سي. ـ نفط العراق ـ تعلم ان هناك من يفعل لها ذلك لدفعت ربع مليون جنيه استرليني .. وهذا الشخص هو صديق ذلك الخنفوس !!

ومرة خامسة يدس الخنفوس المحترم على العرب والاكراد فيجعل من خبر اعتيادي جدا ، الا وهو تعيين أحد الاكراد بمنصب دبلوماسي في السلك العراقي الخارجي ، عنوانا لمانشيت الجريدة في اليوم الذي تلى ورود ذلك الخبر ، وكان المانشيت : « تعيين اول كردي في منصب دبلوماسي » بينما الحقيقة والواقع تؤكد ان هذا كذب ودس ودجل ، لان ذلك كان منذ عشرات السنين .

من كل هذه الاسباب مجتمعة ولعلاقة الناقد الموما اليه بالجماعة الميكانيكية التي أزيح خنفوسها من الجريدة وفصل للاخطاء المذكورة ذاتها ، ولكون هذه الجماعة قد دخلت معي في صراع فكري وعملي جدي .. بات لزاما علي القول ان الناقد قصد من وراء مقالته التشهير ، خاصة وهو قد استعمل كلمات السطو والسرقة عشرات المرات .

والناظر في نقد الناقد بامعان يدرك مدى سوء النية الذي يتحكم بسطوره ومدى الحقد والشخصانية .

الملاحظة الرابعة : هي نسيان الناقد تشابه مواضيع البحوث المطروقة والمطروحة في المجلات العربية المعاصرة ، وتشابه مصادرها التاريخية والفكرية . ونسيانه أن المواضيع المتشابهة المحتوى تكون بالضرورة متشابهة التعبير .. وأحيل الناقد الى أعداد مجلة «دراسات عربية» التي صدرت بعد عدوان الخامس من حزيران ليقارنها مع اعداد مجلة « الطليعة » القاهرية الصادرة في نفس تلك الفترة ويرى مدى التقارب بين الافكار والنصوص والابحاث .. ترى ماذا وعن أي شيء يعبر هذا النسيان المقصود ؟ الا يعبر عن « سوء نية » ؟

المهم الان أن نلفت نظر القراء ونظر الناقد الى انه ترك اكثر من نصف المقالة التي ناقشها .. فلماذا تركها وهي التي كانت ملأى بالمحتويات الثرة والجديرة بالمناقشة .. منها مناقشة المنطق الاسرائيلي .. وتفصيل المجتمع الاسرائيلي .. والكتاب الاسرائيليين ثم تعريف أسباب التخلف العربي .. ومناقشة اليسار الاسرائيلي وأقصاه ومواقفه من الصراع العربي ـ الاسرائيلي .. ثم ما قوله بان موضوع ـ التخلف العلمي والتقني ـ مقولة يتفق عليها عشرات الكتاب العرب ، وقد طرحت في أكثر من مقال ومناقشة .. وليرجع قليلا الى مجلة العلوم التي صدرت بعد العدوان وعدة مقالات نشرت باسماء شتى عن التخلف العلمي والتكنولوجي العربي في مجلة دراسات عربية .. فهل سرق كل هؤلاء من بعضهم بعضا أم ان المسالة المطروحة كانت واضحة للعيان الا ان وجهات النظر فيها اختلفت واتفقت في أحيان متفاوتة ؟

وسؤال آخر أوجهه للناقد هو : لماذا لم يقل ان النصف الثاني من المقالة التي ناقشها ـ مسروق من الدكتور عبد الدائم ؟ ولماذا لم يتعب نفسه قليلا كي يؤكد للقراء ان « جميل المناف لا يعرف الكتابة وانه لم يكن ولا ـ يزال ـ يكتب البحوث المطولة ـ في الجرائد العراقية ـ عن شتى القضايا المصيرية والمسائل الفكرية » . وأود أن أنقل اليه رأي أحد الخبراء العراقيين بمجموعة الابحاث التي نشرتها عن العدوان بعد الخامس من حزيران ، تلك المجموعة التي جمعتها ودفعتها الى وزارة الارشاد والثقافة العراقية لكي تطبع في السلسلة السياسية . والخبير الذي سأدون رأيه من المثقفين التقدميين ومن المختصين بالعلوم السياسية والاقتصادية والمهتمين بالقضايا الستراتيجية والتحليلية السوقية . يقول الخبير : « مجموعة المقالات التي تخص الكاتب تتفق مع الفكر التقدمي السائد في المنطقة العربية. وقد كتبت بأسلوب ديناميكي جدلي يعبر عن ذهنية متفوقة مما يدعو الى الاعجاب بالكاتب والاشادة به » .

هذا شيء يسير وصغير مما قاله الخبير بما كتبته في الجرائد العراقية وجمعته على شكل أبحاث متسلسلة . فهل جرؤ الناقد المحترم وقال ان هذه الابحاث مسروقة ؟ ولماذا لم يتكلم ويرسل لي نقده لكي أنشره في الجريدة التي كنت أعمل فيها ، في نفس أو الى جانب المقال الذي أنشره أسبوعيا ؟ وكم كنت أكون شاكرا له لو فتح باب مناقشة جادة معي في وقت كنا بحاجة فيه الى مناقشة . الا انه لاذ بالفرار الى مجلة « الاداب » ، لانه يعلم ان الرد عليه يستغرق شهرا كاملا كي ينشر بعد العدد الذي فيه نقده . وبهذا يصل غايته في تشويه السمعة وتلطيخ الاسم .

انى في الوقت الذي أرد فيه على الناقد لا أبغى من وراء ذلك الا الوصول الى الحقيقة وتأكيد مسائل بديهية في عالم البحث والكتابة ، واحترام الاشخاص الذين أجلهم مثل الدكتور عبد الدائم .

واذا كان الناقد قد طالبني بالرد عليه والرجاء بالجواب فانني أجيبه بما سلف ، أما الشيء الذي آسف عليه فهو ان تخلو الساحة من النقاد بحيث يتحول صاحبنا الى ناقد يقيم المقالة التي نسبها لي وللدكتور عبد الدائم .. وقال انها جديرة بأن تهتم بها الحكومات العربية والحركات الثورية العربية مما « وجعلني سارقا » بينما جعل الدكتور عبد الدائم ـ ضمنا ـ « واهب السرقة ! » .

عدد « الآداب » القادم

عدد ممتاز

أدب المقاومة

سيكون عدد الآداب القادم الذي يصدر في اواخر اذار (مارس) القادم عددا ممتازا في موضوع « ادب المقاومة » وادب الكفاح ضد الاستعمار . وسيضم مجموعة كبيرة من الابحاث التي قدمت الى مؤتمر الادباء العرب السادس الذي ينعقد في منتصف اذار في القاهرة . بالاضافة الى طائفة من القصائد والقصص باقلام كبار الادباء العرب .

احجز نسختك منذ الآن

فلسطينية

.. وأنت على يديَّ
يروّني الوجد ..
وأنت على جفوني
يضمحل على العيونِ
وينتهي بعد ..
تحدثني يداكِ ،
عيونك اللهفى ..
فيسرب في دمي وقدُ ..
وأمسحُ
ما تقول الامسيات ،
وما يبوح على الهوى
وعدُ ..
وأكتب عنك ..
عن طيرين حاما في فؤادي ،
ثم أشرق في المدى حدُ ..
وأكتب كل ما قالت
عيونكِ
والدنى من حولنا قيدُ ..

وظلُ العاصفاتِ
يمد لي كفن اللظى ،
وحفيف أشباح
وراء الليل يمتدُ ..
وأهواك ..
وأهوى كل ما قالت
مرايا الشوق وانكسرت ،
وما همّت به
عيناك حين تهدّم الوعدُ .
فلسطينية
تبقين في صوتي ،
وفي جرح
بطول القلب يمتدُ ،
فلسطينية
تبقين حتى ،
لو تحجر بيننا مدُ ..
فلسطينية
تبقين ..
لو تدري الاضالع

كيف يخفق بينها وردُ ،
فلسطينية
تبقين ..
لو تدري الحروف المستحمُ
بنارها شهدُ ..
اذا ابتسمت
مناديل على خدّيك
نوّر فيهما الوجدُ ..
اذا التفت
خطاك على الطريق
ولوّحت
كفّاك يهزج فيهما الوعدُ ..
فلسطينية ..
كانت ،
وما زالت
عيونك مثلما أهوى ،
ويهوى بعدنا وعدُ ..

محمد اسماعيل الاسعد

في حين نجد ناقدا اخر من ج.ع.م ـ في عدد ١٢ عام ١٩٦٧ ـ يقول عكس ذلك ..

كلمة أخيرة نقولها للناقد هي أن يخلص ويكون أصيلا ولا يدخل القضايا الشخصية في موضوع عام ولا يحرق أعصابه . عندئذ يكون أمينا !

وعندئذ يحق له أن ينقد من يشاء شريطة أن يكون سلمه القيمي في مجال النظر والتطبيق علميا وموضوعيا .. وأن لا يهين الآخرين باسم الحرص على الامانة العلمية ، وأن يكون عالما ببديهيات البحث والدراسة في اللحظة الراهنة من التاريخ .

على كل الاحوال أنا لا أصادر حق الناقد في حريه النقد ولا أطلب منه أن يقدم مجموعة من الاعذار .. واذا كنت قد لجأت الى ما كتبته بصدد الرد عليه ، فان ذلك من حقي ومن موجبات البحث عن الحقيقة . الا ان الذي آلمني جدا أن يقذع الكاتب في نقده .. وقد ذكرني ذلك بالقول الذي يؤكد ان الفكر عندما يصبح بدون اطار قيمي بين اناس هم ابطال دونكشيتيون في ميدان ـ الزايدة ـ والمناقصة يتحول الى مبرر براجماتي !

ويؤسفني أن أعتب على مجلة « الاداب » التي يرمى كتابها بالاوحال على صفحاتها ـ وهي مشجعة لهذه العملية ـ لانها ليبرالية.

ومن المهم جدا أن أقول انني كنت حاضرا وفي أشد حالات ـ الحضور ـ عندما كتبت هذا الرد .

كما انني أقرر كسياسي وكاتب وملتزم عدم الكتابة في مجلة « الاداب » . واحتراما لهذا القرار .. واقرارا بحرية الفكر يرجى من « الاداب نشر ردي هذا مع الشكر .

بغداد — **جميل المناف**

تعليق « الآداب »

حرصت « الاداب » على أن تنشر رد الكاتب باكمله ، لان من واجبها أولا أن تنشر الردود حين تكون دفعا لتهمة أو تبريرا لموقف . أما أن يكون الكاتب قد استطاع ، بما أورد من حجج وبراهين ، أن يدفع عن نفسه التهمة ، فنترك ذلك للقراء ، ونحيلهم مرة ثانية على مقال الناقد الذي كشف في العدد الاول من هذا العام وجوه الشبه أو الاقتباس أو السطو ...

واذا كان لنا أن نأسف لشيء ، فلاننا لم نستطع حين قرأنا مقال الكاتب ان نذكر اننا قرأنا مثله من قبل ، الى ان نبهنا الدكتور عبدالله عبد الدائم نفسه الى ذلك ، ثم أتى الناقد العراقي يقدم البراهين .

وقد نشرنا الرد ثانيا ليطلع القراء على الاسلوب الذي انتهجه الكاتب في البحث ، وليقف على اللغة التي كتب بها كلمته ، وقد أبقينا على الاخطاء اللغوية كما وردت في الاصل .

ولعل القراء قد عجبوا ، كما عجبنا ، للعبارة التي ختم بها الكاتب رده معلنا انه قرر « كسياسي وكاتب وملتزم » عدم الكتابة في مجلة « الآداب » .. لماذا ! لان «الآداب» نشرت مقالا يثبت فيه صاحبه أن هذا الكاتب قد سطا على نتاج سواه . وقد كان يريدنا ان نستر عليه ونخفي آثار هذا العدوان ، ونخون واجبنا ... ونعتقد ان هذا الموقف كاف لابراز مفهوم هذا الكاتب للسياسة والادب والالتزام !

يبقى ان « الآداب » لن تمتنع ـ بالرغم من هذا كله ـ عن نشر مقالات جميل كاظم مناف ، اذا بعث بها اليها ، شريطة أن يكون ضميره راضيا حين يكتبها !

« التحرير »

هـــل هناك أدب متكامل ؟

سؤال يطرأ على الاذهان من كل عصر ، وكل مكان ، وينتقل مـــن جيل الى جيل دون اجابة واضحة ، او بمعنى اوضح اجابة كاملـــة .. وقد راح الاولون يتساءلون : هل ادبنا يمثل دائرة التكامل الحقيقـي ، واذا كان هناك تكامل حقيقي فما هي النماذج ؟ وايـــن هـــي القصائد المتكاملة ؟ واين هي القصص التي تتكامل ادبا وفنا .. موضوعا واسلوبا؟ ثم اين هو النقد الذي تتوافر فيه الصفات التكاملية الجوهرية ؟

سؤال يبقى بلا اجابة متكاملة ، ويتردد صداه في وجدان كـــل اديب من عصر الى عصر ومن مكان الى مكان .. سواء على صعيد ادبنا العربي او على مستوى الادب العالمي كله ، وليس فـــي هـــذا مجافاة للحقائق او انكار لها .. فنحن اذا القينا نظرة على الواقع الادبي نجد النقاد يعتبرون التكامل حين نخلق الادب وفق مذاهب ادبيـــة معينة . وقد نشأت الكلاسيكية وكانوا في بدايات النهضة الحديثة يقدمون لهـا الطقوس والقرابين ويظهرون سخطهم على الرومانتيكيين ، واندحاالادب بعد ذلك في خضم رهيب زاخر بالواقعية وقبلها كانتالطبيعةوالطلبية، ثم جاء بعد الواقعية السريالية والواقعية الاشتراكية والالتزام والالزام ... الى غير ذلك مما جد ويجد ويستحدث .. وآخره هذا اللامعقول من ادب وفن هبت عاصفته العاتية من غرب اوربة الى شرقنا العربي !

ولقد طرحت هذا السؤال على نفسي عندما قرأت مقال الاستـــاذ مدني صالح في « الآداب » (عدد يناير ١٩٦٨) ووجدته يصيح صيحة عالية ذات رنين اجوف فيها من التهم مـــا لا يمكن السكوت عليـــه او يحسن !

وأي كاتب او قارىء حين يلمح تقسيمه « الرومانتيكي » الجديـد لطبقات الشعر والشعراء فانه يجد عجبا ويلمس شطحات لا مبرر لهـــا اللهم الا نزعة « التفريغ » .. ونزعة التفريغ لها مظاهر شتى ووجوه متعددة .. فلها في علم النفس مظاهر ، وفي فن الادب معالم .. هـــي نزعة عدوانية هناك ، ونزعة عدوانية هنا .. مع الفارق بين العداء هنـا وهنـاك .

ان اي عاقل حين يرى الاستاذ مدني صالح يقسم طبقات الشعـر والشعراء ، الى : طبقة ينزعمها البياتي والسياب وصـــلاح وأدونيس ويعتبرهم شعراء ، والشعر فيهم وليس في غيرهم . ويعتبر بعد ذلـك ـ كما استنتجنا ـ ان دنيا الشعر خلو بدون شعر حر ، فانه يتعجب ولا ينقضي عجبه ، حين يراه من هذا المنطلق يصف الرصافي والزهاوي وابن مالك صاحب الالفية .. بانهم نظامو كلام وشعرهم لا يخرج مـــن حدود الوزن والقافية والتشبيه الحسن والصياغة البليغة والعبـــارة الرنانة والاسلوب الجزل والديباجة المشرقة ، وهم لديه براء من الشعر براءة الذئب من دم ابن يعقوب ! اننا لو رضينا بأن يكون ابـــن مالـك نظاما فهل يستوي معه الرصافي والزهاوي ؟.. وفي تقسيمه هذا نصل الى الطبقة الثالثة وهم اصحاب « الشعر المخنوق » ومـــن شعرائها شوقي والاخطل الصغير وامين نخلـــة .. وهؤلاء ـ لديه ـ شعرهـــم مخنوق تحت اغطية مزهقة من النظم ووراء دخان كثيف يشتد على شعر القصيدة خنقا وتضييقا.. هل هذا يا سادة نقد نزيه ودراسة متزنة ؟ اننا في عصر الموضوعية العلمية التي هي من لوازم هـــذا الزمن .. والكلمة فيه يجب ان تكون اول شيء يمتزج بالموضوعية ، لانهـــا اسس التعبير واساس التوضيح والافهام . فكيف نستطيع الحكم على الشعر العربي هذا الحكم المتطرف المنحاز الذي نطق به الاستاذ مدني ؟ انـــه يقول « ولتطرف مخلص خير الف الف مرة من اعتدال متواطىء » ونحن لا نكره الاخلاص .. ولكننا نفهم ـ كما تعنينا معلوماتنا ..

ان التطرف شيء يناقض الانحياز .. والذي فعله كاتبنا هـــو الانحياز وليس التطرف .. فالتطرف نتيجة ايمان موضوعي ، وعلـى اساس فهم واقعي لموضوع ما .. وحينئذ يكون الايمان به والعمل مـن اجله تطرفا مقبولا . اما اذا انحزنا انحيازا بلا بصر الى موضوع مـــا لمجرد التعاطف معه ، والانفعال من اجله فان ذلك يخـــرج بالناقد او الدارس عن الموضوعية وايضا عن الاصالة .

ان كاتبنا يعيب على شعر الجاهليين والمخضرمين ومن تلاهم .. ولم يدر ان شعراء تلك الازمنة عبروا عن أنفسهم أصدق تعبير وأحسوا بما حولهم احساسا صادقا ، وشعروا بالدنيا تؤثر فيهم ويؤثرون فيها فراحوا ينسجون على هدى وحيها ، ويدبجون وفق دفقها الفياض .. ولو نظر الى الذين يعيشون ايامنا فان شعرهم تنتفي فيـــه الاصالة الذاتية المنبثقة من محيطنا الانساني والعربي ، فهم سيـــاح من زمن الضباب والضياع والتردد والشعوبية والتعصب الطائفي والعنصريـة واللادينية .. وهناك امثلة .. بل كل شعرهم امثلة .. تؤيد ما ذكرت باستثناء واحد منهم ـ اعني صلاح عبد الصبور ـ وانا اسوق لـــه الامثلة ممن يعتبرهم شعراء .. اما النظامون واصحاب الشعر المخنوق فلست بمتحدث عنهم ، لانه لا يؤمن بهم وبالتالي فان سوق الامثلة ممن يتعصب لهم وينحاز قد تكون اوقع واقرب الى نفسه .. وهذا مثال :

« وحدك ، يا يسوع ، تستطيع أن تخفف عني وطأة
السؤال الملح .
كم رسالة كتبت لكم امرأة .
كم فلذة من قصيدة انبعثت بعد سنين ، ولادة
مسيخة .
من معرفة لامرأة .
مفارقي المنقذة صقلب مفرشخ
كلما ضحكت مرة ادركت اني سأصفح .. كلما
انزاحت الكوابيس المقششة المستوطنة تهيأت
اذناي لدقات ناقوس .. كلما انتهى عصر فحش
ومجازر وانتهاك وكفر .
وجثوت كجثوتين
بريئة نقية بعد الف الف اغتصاب
وعفرت صدري ووقفت فاتحا ذراعي رافعا رأسي للسماء،
انقضت من السماء صاعقة اغتصبتني الاغتصاب الاخير
واعرف ان هناك ، اعرف ان « الهناك » ناء لكنه
مثلها هناك »

ولا تعليق لنا على مثل ذلك الشعر في عرف الاستاذ مدني صالح

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

تجدون فيها روائع الكتب من بينها :

في سبيل الاستقلا' الجزء الاول
تأليف يوسف السودا

مدخل الى الاشتراكية والليبرالية والشيوعية
تأليف جوزف شادر

اوغاريت للدكتور أنيس فريحة

الذي يتعصب لما كسر القافية وحطم الوزن ومزق المعنى !!

ثم هو يقول ان الشعر او شعر العرب – وفق تعبيره – قد بدأ في العراق وبدأ بالبياتي وبالسياب .. وارجو ان يسمح لي ان شعر العرب الذي يعنيه قد بدأ في لبنان ، وتلك مغالطة تاريخية – فالمعروف ان الشعر المنثور او الشعر الحر قد بدأ في لبنان بعد انتقاله اليها من اوروبة بصفته اقرب الدول العربية الى كل موجات التجديد وكل المولدات التي تظهر في اوروبا ، وايضا بحكم ثقافة ساكنيه واتصالهم بفرنسا على الاخص . حتى اذا اراد كاتبنا ان يربط البداية بالتجديد فيما يسميه « بشعر العرب » فان شعراء لبنان ومن بينهم خليل حاوي وادونيس – على اختلاف النزعات – يعد شعرهم اجود من شعراء العراق المعنيين .

وهو ينصب من الشعراء الذين ينظمون شعرا حرا اساطين للادب التكاملي في امتي ، وانا لا ارفض هذا التنصيب اذا كان حقيقة موضوعية ، ولكنه صادر عن التعصب والانحياز وهذا يذكرني بناقد راح ذات يوم ينصب صلاح عبد الصبور خلفا لشوقي وكاهنا في معبد ربة الشعر ، وراح يدور بالبخور على رأسه رغبة في « التفريغ » .. ومن العجب العجاب ان هذا الناقد اخذ على نفسه أن يترجم مسرحية « اجا ممنون » ترجمة عمودية مقفاة وهو الداعي الاكبر لهدم العمود ومسح القافية من دنيا الشعر الى الابد !!

ان تنصيب « مهيار الدمشقي » كأدب تكاملي يذكرني « بمهيار الديلمي » وقد اتحدت النزعة واتفقت الدعوة وادباء العرب لا يخفى عليهم من هو مهيار سواء كان دمشقيا او ديلميا ! ثم ان « مأساة الحلاج » لم ترق الى المستوى الفني الكامل كمسرحية متكاملة..ولكنها في ميدان الابتكار ذات قيمة وهو ما لا ننكره بل ونود ان تظهر عبقرية من يسميهم « مدني صالح » شعراء العرب ، في هذا الميدان الرحب الكبير ، والحركة فيه تنفي الخبث وتبقي الطهر والشفافية .

وقبل ان اختم كلمتي القصيرة التي كان لا بد منها حين قرأت كلمة الاستاذ مدني صالح فانني اورد له مقطعا من « قصيدة » لبعض من يسميهم شعراء العرب ، وبعدها فانني ارجو منه أن يتقبل كلمتي بروح موضوعية ، وليكن الحوار طريقنا الى وصول الشاطىء الآمن الاخضر البهيج :

يقول بعضهم « نحن جبال السم ، ثعالب الضباب ، ينضب اطفالنا الينابيع ، يولدون من التالول ، يفسلون قبل الفجر .

نساؤنا على الشرفات يصطدن الخلجات ويحصين الاجانب .

نحن جربكم وانتم اهل الصبر .

نخش فيكم (تفتحين يا امرأة فنعصرك ونغلقين فنهدمك) .

نحس فيكم ! لا خير فيكم .

تعروننا وتسنجدون لنا ، نعريكم لا خير فيكم .

جسدي وحيد ومضحك ! !

وما من منقار يخدش كفا !!

وما من ظامىء الي !!

انت يا اخر الضيوف تعال ، في احضانك المنهارة اترك نفسي،

انتزع نخاعي الملوث .

ومسرعا .

افقد الكل ذاكرتي . » (*)

وايضا فلا تعليق .. وانما لاحساس الادباء انرك التعليق ، راجيا ان نلتقي على صفحات « الاداب » في موضوعية تهدف الى التجديد والعطاء والاخصاب وليس الى التعصب والانحياز والهدم .. وانا على الدرب لسائرون رغم كل المصائب والمصاعب والرزايا !

الاسكندرية

حلمي محمد القاعود

(*) تعليق « الاداب » : لعل القارىء قد لاحظ ان الناقد يخلط خلطا واضحا بين « الشعر المنثور » او ما يسمونه « القصيدة المنثورة » وبين الشعر الحر ...

اقتراح دولة فلسطين

ومادار حوله من مناقشات

بقلم المفكر العربي الكبير الاستاذ

احمد بهاء الدين

القضية الاولى التي تستأثر اليوم باهتمام القادة والسياسيين والمفكرين العرب . والاقتراح ، كما يقول المؤلف ، ليس أكثر من « المطالبة بأن يعود شعب فلسطين ، بأهله وقدراته وأرضه ، الى الوجود والى مكان الطليعة في هذه القضية بالذات . » ويضم الكتاب أهم المناقشات التي دارت حول الاقتراح وشارك فيها طائفة من كبار المفكرين العرب .

الثمن ٢٠٠ ق٠ ل

صدر حديثا